

الأسرة وانحرف الأجداد

بوفولة بوخميس - علم النفس - عنابة، الجزائر

boufoulab@yahoo.fr

الملخص: سنحاول في هذا المقال تناول العوامل المؤدية إلى الانحراف والتصنيفات التي وضعها الباحثين لهذا الأخير، كما سنبحث سيكولوجية الانحراف وأنماط المنحرفين.

و سنتطرق إلى سمات أسر المنحرفين والعلاقة من جهة بين الأساليب التربوية الخاطئة والانحراف، ومن جهة ثانية بين اضطراب القيم الأسرية والانحراف.

الكلمات الأساسية :

- الأسرة - الحدث - الانحراف - انحراف الأحداث

RESUME : Nous essayons, dans cet article, d'approcher les facteurs qui incitent à la déviance, ainsi que les différentes classifications de ce dernier. Nous relaterons également la psychologie de l'acte déviant et les types des délinquants. On étudiera les traits caractéristiques de familles des délinquants, et les rapports d'un part entre les mauvais styles éducatifs parentaux et d'autres part entre les valeurs familiaux et la déviance.

MOTS CLES

-FAMILLE -MINEUR -DEVIANCE -DELINQUANCE JUVENILE

- الأسلوب التسلطي: يكون مستوى التأديب مرتفعا لكن الدفء والعاطفة نادرين نسبيا، وينتج عن هذا الأسلوب نقص براعة الأطفال في تفاعلهم مع أقرانهم ونقص في تقدير الذات ويظهر بعض الأطفال عدوانية وعلامات عدم التحكم في الذات وأحيانا يكونون متحفظين.

ومن جهة أخرى تلعب مؤسسات التنشئة الاجتماعية خاصة الأسرة دورا كبيرا في نقل العديد من العناصر الثقافية الأساسية لخلق أفراد أكفاء اجتماعيا.

تبدأ التنشئة الاجتماعية مع الأسرة منذ الطفولة، وتتواصل ضمن إطار المؤسسات والجماعات التي يمر عليها الشخص على مدى حياته، ويستجيب الفاعل الاجتماعي لضغوطات المحيط والتأثيرات فينمق بعض الأفراد وبعض الجماعات، ويتجاهل أو يرفض البعض الآخر، ويستدخل بصورة انتقائية أنساق الاتجاهات والتصورات، ويكتسب معارف وتقنيات تفيد في حياته. يمارس الفرد بدوره ضغوطات وتأثيرات على محيطه الاجتماعي.

ومجمل القول تهدف التنشئة الاجتماعية إلى مساعدة الأفراد على:

- التوافق مع الآخرين.
- الاستقلالية.
- النجاح.
- تكوين القيم.

مقدمة :

تلعب الأسرة دورا كبيرا في تربية ورعاية أبنائها وحمايتهم من الصعوبات التي يتعرضون إليها في حياتهم تؤدي الأسرة عدة وظائف:

- وظيفة بيولوجية: تتمثل في الإنجاب.
 - وظيفة نفسية: إشباع حاجات الأبناء مثل الحاجة إلى الحب، التقدير، الأمن... إلخ.
 - وظيفة اجتماعية: تعليم البناء القيم والمعايير الاجتماعية كما تحدد لهم "دورهم" و"مكانتهم".
 - وظيفة اقتصادية.
- تعرضت الأسرة إلى جملة من التغيرات مما أقلب كيانها وأصاب تماسكها وأثر سلبا على دورها التربوي. وتتركز التربية في الوسط الجزائري على إعطاء أهمية لقيم المساعدة والتعاون والأخوة والحب والشجاعة والاحترام.

ويتبع الأولياء في تربيتهم عدة أساليب:

- الأسلوب الديمقراطي: حيث يظهر الأولياء درجة عليا من الدفء والاستجابة لحاجات الأبناء فيتربى الأطفال على الاستقلالية والإيثار.
- والأسلوب المتسامح: حيث يدلل الأولياء أبنائهم ويعطونهم كل ما يريدونه فينشأ الأطفال هنا عدوانيين وناقصي نضج في علاقاتهم مع الأقران وفي المدرسة وكذلك يكونون أقل تحملا للمسؤولية وأقل استقلالية.

1- تحديد المفاهيم:

1-1- تعريف الحدث:

الحدث في اللغة العربية هو "صغير السن".¹

ويقابل كلمة "حدث" في الفرنسية كلمة "Mineur"، وفي الإنجليزية كلمة "Minor".²

الحدث في القانون يبدأ بسن التمييز وينتهي ببلوغ سن الرشد. ولقد حدد القانون الجزائري الحد الأعلى للحدث تصريحا والحد الأدنى تضمينا: حيث تشير المادة 442 من قانون الإجراءات الجزائية إلى الحد الأعلى لسن الحدث وهو ثمانية عشر سنة: >> يكون بلوغ سن الرشد الجزائري في تمام الثامنة عشر <<. وتشير كل من المادة 444 والمادة 456 ضمنا إلى الحد الأدنى لسن الحدث حيث تتصان على التوالي: >> لا يجوز في حالة الجنائيات والجنح، أن يتخذ ضد الحدث الذي لم يبلغ الثامنة عشر إلا تدبير أو أكثر من تدابير الحماية والتهديب << و >> لا يجوز وضع المجرم الذي لم يبلغ من العمر ثلاث عشرة سنة كاملة في مؤسسة عقابية ولو بصفة مؤقتة <<.³

ويلاحظ في قوانين الدول العربية والأجنبية تباين في تحديد الحد الأدنى والحد الأعلى للحدث، فقد حددتهما كليهما كل من سوريا، والمغرب، والبحرين ولبنان. وأهملت بعض الدول الحد الأدنى مثل فرنسا، والكويت، ومصر والجزائر.

2-1- تعريف الانحراف:

(أ) التعريف الإشتقاقى:

أصل كلمة "انحراف" في اللغة "حرف" ويقال "حرف الجبل" أي أعلاه المحذب. ويقال فلان على حرف من أمره، أي على ناحية منه. وتعريف الكلم عن مواضعه يعني تغييره.⁴

لم يذكر مصطلح "انحراف" في القرآن بل ذكر مصطلح "جناح" بمعاني عديدة منها "الإثم" و"الضلالة" و"الميلان". يرتبط التعريف القرآني للانحراف (الجناح) بتقسيم وضبط سلوك الفرد.

لقد ورد لفظ "جناح" ثلاثة وعشرين مرة في القرآن في السورة الآتية: البقرة (10 مرات)، النساء (5)، النور (4)، الأحزاب (2)، الممتحنة (1) والمائدة (1).⁵

يستعمل بعض العلماء مصطلح "سلوك شاذ" بدلا من "انحراف" لكن علماء الاجتماع يفضلون استعمال مصطلح "انحراف"، أما علماء النفس المرضيين فيستعملون المصطلحان معا.

وسنحاول في هذه الدراسة استعمال مصطلح "انحراف" كمقابل للمصطلح الفرنسي "Délinquance" والإنجليزي "Delinquency" نظرا لشيوع هذا الاستعمال وسهولته، حيث يستعمل العلماء مصطلح "Délinquance" لكن يقصدون به كل "فعل جناح ارتكب من طرف الفرد سواء شخصه القانون أو لم يشخصه".⁶

(ب) التعريف الاصطلاحي:

* تعريف سبروت (Spratt):

الانحراف هو: >> محاولة من الممثلين^{*} للابتعاد عن القواعد الثقافية المقبولة للسلوك <<.⁷

* تعريف كوهين (1959):

الانحراف أو السلوك الانحرافي هو: >> السلوك الذي يعتدي على التوقعات التي يتم الاعتراف بشرعيتها من قبل المؤسسات والنظم الاجتماعية <<.⁸

* تعريف ميرتون (1961):

الانحراف أو السلوك الانحرافي هو: >> السلوك الذي يخرج بشكل ملموس عن المعايير التي أقيمت للناس في ظروفهم الاجتماعية <<.⁹

* تعريف م.ب. كلينارد (M.B. Clinard, 1963):

الانحراف هو: >> سلوك لا يتفق مع توقعات ومعايير السلوك الفردي العامة والمقررة داخل النسق الاجتماعي ويشير إلى المواقف التي يتجه فيها السلوك اتجاها مستهجنا أو غير مقبول بالدرجة التي تجعله يتخطى حدود التسامح في المجتمع المحلي <<.¹⁰

* تعريف ت. بارسونز (T. Parsons, 1970):

الانحراف هو: >> نتاج التفاعل بين التناقضات الوجدانية في النسق الدافعي للأنا والآخر. وعند هذا الحد يكون التفاعل بين التناقضات الوجدانية القائمة في دوافع المشتركين فيه هو مصدر الانحراف <<.¹¹

* تعريف ت. بارسونز (T. Parsons):

الانحراف هو: >> اضطراب في توازن النسق المتفاعل <<.¹²

* تعريف السيد رمضان (1991):

الانحراف هو: >> موقف اجتماعي يخضع فيه صغير السن لعامل أو أكثر من العوامل ذات القوة السببية مما يؤدي به إلى السلوك غير المتوافق أو يحتمل أن يؤدي إليه <<.¹³

* تعريف سامية محمد جابر (2004):

الانحراف هو: >> عدم مسايرة المعايير الاجتماعية.... وهو ظاهرة توجد في حياة كل كائن إنساني.... وغالبا ما يتضمن الانحراف امتثالا أو مسايرة لمعايير إحدى الجماعات الفرعية، أكثر من معايير الجماعة الاجتماعية السائدة.

الأشخاص الذين ينحرفون عن بعض المعايير الاجتماعية ليسوا بالضرورة مرضى نفسيا، أي أن الانحراف لا يتضمن بالضرورة مرضا نفسيا أو عقليا. والشخص المنحرف من وجهة نظر مجتمع معين، أو نسق اجتماعي بالذات، قد ينظر إليه باعتباره ممثلا أو مسائرا، من منظور فلسفي أخلاقي آخر، أو في حقبة تاريخية معينة، وذلك فإن الانحراف ليس مسألة فطرية تظهر في السلوك والاتجاهات، بل أنه ظاهرة للتفاعل الإنساني في وضع معياري معين <<.¹⁴

* تعريف أ.ك. كوهين (A.K. Cohen):

السلوك المنحرف هو: >> سلوك يخالف التوقعات النظامية التي يعتبرها النسق الاجتماعي عامة، ومقبولة وشرعية <<.¹⁵

* تعريف سامية محمد جابر (2004):

السلوك المنحرف هو: >> الذي يتعارض، أو يتصارع مع المستويات والمعايير المقبولة ثقافيا واجتماعيا داخل نسق أو جماعة اجتماعية <<.¹⁶

(ج) الفرق بين "جناح" و"انحراف" و"إجرام" و"جريمة"¹⁷

"Différence entre "délinquance" et "déliance" et "criminalité" et "crime")

• حسب الاستعمال الفرنسي مصطلحا "جناح" و"إجرام" يعينان مجموعة المخالفات التي تقترب في زمن ومكان معينين.

*** تعريف "نيوماير" (Neumeyer):**

قدم تعريفاً لعبارة "انحراف الأحداث" فقال: >> هي تلك الأفعال المضادة للمجتمع التي يرتكبها أطفال أو أشخاص دون السن القانونية <<. ¹⁹

*** تعريف "دافيد أبراهامسن" (David Abrahamsen):**

هو أيضاً قدم تعريفاً لعبارة "انحراف الأحداث" وقال: >> أي عمل إجرامي يقوم به الحدث ضد الأشخاص أو الممتلكات ويكون منافياً للقانون <<. ²⁰

(ب) التعريف النفسي:

*** تعريف السيد رمضان (1991):**

الحدث المنحرف هو: >> ذلك الشخص الذي يرتكب فعلاً يخالف أنماط السلوك المتفق عليه للأسوياء في مثل سنه وفي البيئة ذاتها، نتيجة لمعاناته من صراعات نفسية لا شعورية تدفعه لا إرادياً لارتكاب هذا الفعل الشاذ كالسرقة، أو العدوان، أو الكذب، أو التبول اللاإرادي أو قضم الأظافر.... إلخ <<. ²¹

*** تعريف أنور الشراقوي:**

الحدث المنحرف: >> هو الصغير الذي يستجيب لعدم توافق بدرجة خطيرة ومتزايدة وبوسائل عدوانية <<. ²²

*** تعريف إيفي بينات (Ivy Bennet):**

الحدث المنحرف هو: >> الطفل الذي يقوم بسلوك مضاد للمجتمع ويكون اجتاز مرحلة الكمون <<. ²³

(ج) التعريف الاجتماعي:

*** تعريف "س. و. إ. جلوك" (S. et E. Glueck):**

الحدث المنحرف هو: >> الشخص الذي يقوم بأفعال متكررة غير قانونية تصدر منه وهو لم يبلغ سن السادسة عشر. ولو ارتكبها الكبار لاعتبرت جرائم، وهذه الأفعال غير القانونية ترتكب نتيجة سوء تكيف الأحداث مع النظام الاجتماعي الذي يعيشون فيه <<. ²⁴

*** تعريف "روث كافان" (Roth Cavan):**

الحدث المنحرف هو: >> كل طفل أو شاب ينحرف سلوكه عن المعايير الاجتماعية بشكل كبير يؤدي إلى الضرر بنفسه أو بمستقبل حياته أو المجتمع ذاته <<. ²⁵

*** تعريف "الشيخ كامل محمد عويضة":**

الحدث المنحرف هو: >> ضحية ظروف سيئة اجتماعية كانت أو اقتصادية أو صحية أو حضارية <<. ²⁶

وكثيراً ما يذكر العلماء، عندما يتطرقون إلى مسألة "الحدث المنحرف"، نوعان من الأحداث المنحرفين هما: "المنحرف المزمن" و"المنحرف بالمناسبة" وفيما يلي تعريف لهما:

2- العوامل المولدة للانحراف:

تحدّد باتريسيا هانغان (Patricia Hanigan) ²⁷ خمسة عوامل مولدة للانحراف وهي كالاتي:

1-2- الأسرة:

إذا كانت الأسرة هي عامل التنشئة الأول، فهي كذلك عامل مولد للانحراف.

• تحدد المخالفات (جرائم وجنح) من قبل القوانين، ونجدها في قانون العقوبات الذي يعكس معايير مجتمع معين.

• في لغة علماء قانون العقوبات (Pénalistes) في البلدان الأوروبية، بالاعتماد على قانون نابليون (Code Napoléon): الجرائم هي جنح أكثر خطورة لأنها تدخل إلى السجن لمدة تزيد عن خمس سنوات.

• في علم الإجرام وحسب 'يامارلوس' و'كيلانس' (Yamarellos et Kellens, 1970): الجريمة هي كل سلوك ضد المجتمع يستوجب تطبيق جزاء ذو طبيعة عقابية تنطق به مؤسسة قضائية هنا نجد أن المفهومين يتوافقان (جنوح وإجرام).

• في الإنجليزية: يعطي مفهوم "جنوح" مجموعة السلوكات المضادة للمجتمع والتي تترجم عدم تكيف الفرد مع المجتمع. هذا المصطلح يستعمل خاصة في حالة الجنح المرتكبة من طرف الشباب.

"الجريمة" هو مجموعة أكثر عمومية (شمولية) لكل الجنح، مهما كانت خطورتها.

يمكن إجراء تمييز بسيط بين "جرائم مسجلة" (الأكثر خطورة لأنها تدخل إلى السجن) و"جرائم غير مسجلة".

• يستعمل مصطلحي "الجنوح" و"الإجرام" كمفهومين عاميين متعلقين بالحياة الاجتماعية، وهما مترادفان بصورة كبيرة وبالتالي ففيهما عدة مظاهر وثيقة الصلة بعضها ببعض: الفعل والفاعل والضحية. وهذه الأخيرة (الضحية) لا يمكن تجاهلها لأن لها مكان نشيط داخل هذا النسق ليس فقط في التفاعل المحتمل مع الفاعل (المعتدي) أثناء ارتكابه للفعل ولكن أيضاً أثناء كامل السيرورة العقابية (Processus pénal).

• ومن جهته يرى سزابو (Szabo, 1973) أنه ينبغي أخذ النسق العقابي (Système de répression) بعين الاعتبار حيث أدرك الباحثون، حسب سزابو، أنّ دراسة العوامل الاجتماعية-الاقتصادية أو النفسية للإجرام لا تأخذ بعين الاعتبار سوى جزء من الواقع الإجرامي. وأن نشاط المؤسسات التي تطبق العدالة والشرطة والمحاكم والمصالح العقابية له دور ويمارس تأثير هام.

• يجمع مصطلح "انحراف" كل تعدي على معيار معين، بدون أن يأخذ "القانون" كمعيار لذلك.

مفهوم "الانحراف" (déviance) أكبر اتساعاً من مفهوم "الجنوح" (délinquance) الذي يرتبط خاصة بالثقافة والمجتمع.

• بالمعنى الضيق "الجانح" (délinquant) هو فرد ارتكب فعل يوصف بالجانح (acte délictueux) من طرف المجتمع (أو المؤسسات التي تمثله). كل فرد ارتكب فعل جنوح (acte de délinquance) ليس بالضرورة في نظر القانون جانحاً (délinquant). إن استعمال الكلمات في هذه الحالة صعب للغاية لأن وصف شخص بأنه جانح هو نوع من الوصم (stigmatisation) الذي قد تكون عواقبه وخيمة على الشخص.

3-1- تعريف الحدث المنحرف:

(أ) التعريف القانوني:

*** تعريف جمال الدين عبد الخالق:**

الحدث المنحرف هو: >> الشخص الذي يعتدي على حرمة القانون ويرتكب فعلاً نهى عنه في سن معينة ولو أتاه البالغ لوقع تحت طائلة العقاب سواء كان هذا الفعل مخالفة أو جنحة أو جناية <<. ¹⁸

2-2- المدرسة:

تلعب المدرسة، بعد الأسرة، دوراً في تعلم الطفل بعض القواعد وتفتتح عليه بعض النماذج التي تساعده على تحقيق انسجام في حياته الاجتماعية. كما تساعد المدرسة أيضاً في نمو العقلي والوجداني والاجتماعي، لكن رغم كل هذا الأثر الإيجابي للمدرسة في حياة الطفل إلا أنها قد تتسبب في انحرافه. فقد توصلت الكثير من الدراسات إلى وجود علاقة بين عدم التكيف المدرسي والانحراف.

ففي سنة 1976 توصل لبارج-ألتمد (D. Laberge-Altmejd) إلى إيجاد ارتباط قوي جداً بين عدم التكيف المدرسي والانحراف في عينة من الشباب (المراهقين). ومن جهته استنتج الباحثان "وسط" و"لوبر" (West & Loeber) سنة 1982، أن عدم التكيف المدرسي إذا ظهر منذ الابتدائي يشكل مؤشراً على السلوك المنحرف مستقبلاً.²⁸

ففي دراسة أجراها فارينطن (Farrington) توصل إلى أن عدم النجاح المدرسي في السنوات الأولى من التمدرس (بين 6 من 8 و10) هو محك جيد لتمييز المنحرفين عن غير المنحرفين، وكذلك كشف الأشكال المزمنة للانحراف. ومن جهتها يرى "لي بون" و"فريشات" أن 42% من أفراد عينتها المنحرفين المتابعين قضائياً تأخروا سنة دراسية واحدة، وأن 26% تأخروا سنتين. ويعرض "لي بون" و"فريشات" مقارنة بين مراهقين منحرفين غير متابعين قضائياً ومراهقين منحرفين متابعين قضائياً، فتبين أن المراهقين المنحرفين غير متكفيين مدرسياً (عدم انضباط، عدم اهتمام بالدراسة، فشل دراسي) والجدول التالي مأخوذ من كتابهما حول "الانحرافات والمنحرفين" (1987):

جدول (1) يمثل عدم تكيف المراهقين المنحرفين مدرسياً حسب "لي بون" و"فريشان"

سلوك الأفراد	مراهقون متابعين قضائياً	مراهقون منحرفون غير متابعين قضائياً
(1) الغياب باستمرار	17	04
(2) يطرد باستمرار من القسم	50	09
(3) طرد مرة من المدرسة	63	06
(4) يود الذهاب إلى الجامعة	16	76
(5) يعارض دائماً داخل القسم	44	05
(6) في سن الـ 17 يعمل	يذهب إلى المدرسة	18
	بطل	60
	يعمل	22
		07

Source: M. Frechette et M. Leblanc, délinquantes et délinquants. Chicoutima: Gaëtan Morin Ed, 1987 in Patricia Manigan, la jeunesse en difficulté. Québec: P.U.Q, 1997, P. 221.

بالإضافة إلى عدم التكيف المدرسي هناك أيضاً صور أخرى لأثار المدرسة في ظهور الانحراف، فالمدرسة بمظهرها الهرمي والتنافسي تخلق وضعيات خطيرة كالفشل والتوجيه إلى الأقسام الخاصة، مما يولد إحباطات واتجاهات سلبية وتمرد وتخلي عن الدراسة والمعلم يلعب دوراً في انحراف تلميذه إذا كان الأول يمثل نموذجاً تقمص سلبياً للتلميذ. فكثيراً ما يتسبب المعلم في توليد مشاعر النبوذ وعدم الفهم والظلم عند التلميذ. وفي الأخير إن أسلوب معالجة المدرسة للتلاميذ الهامشيين هو في حد ذاته عنصر مساعد على عدم التكيف المدرسي، ويتمثل أسلوب المعالجة في وضع التلاميذ الذين يعانون من صعوبات مدرسية في أقسام خاصة أو طردهم مؤقتاً أو نهائياً.

إن الصعوبات التي يعاني منها التلاميذ في المدرسة هي في أغلب الأحيان صعوبات سابقة عن الدخول المدرسي مثل المشاكل العائلية والاجتماعية.

3-2- الشغل (العمل):

لقد شغل الدخول المبكر للأطفال لسوق الشغل بالباحثين والعلماء في مجال الانحراف.²⁹ ورغم منطقيته وعقلانية الافتراض القائل بارتفاع نسبة الانحراف في الفئة التي تدخل سوق الشغل مبكراً، إلا أن النتائج لم تنفي ولم تؤكد هذه الفرضية وجاءت التحليل متناقضة في كل مرة. فقد لاحظ "برونوفست" و"لي بلون" (Pronovost et Blanc)³⁰ إن ترك المدرسة قد يخفف من شدة المنحرف عند الأفراد الذين يندمجون جيداً في عالم الشغل.

ويعتقد "قلوك" و"قلوك" (Glueck et Glueck)³¹، من خلال نتائج دراستهما، بوجود ارتباط موجب بين الشغل والانحراف أي أن المنحرفين يشغلون عملاً أكثر من غير المنحرفين، ومن جهته يشير كيسون (Cusson) إلى أن عدد كبير من المنحرفين لا يبقون في عملهم إلا لمدة زمنية قصيرة وهم يغادرونه بعد أول مناوشة مع مستخدمهم.

4-2- جماعة الرفاق (الأصدقاء):

إن جماعة الرفاق ذا أثر كبير على المراهق. ف"فريشان" و"لي بلون" يذهبان بعيداً لتشخيص الانحراف في سن المراهقة. ويريان أن 23% فقط من المنحرفين غير القضائيين ينتمون على جماعة رفاق يمارس بعض أفرادها أعمال غير قانونية، في حين تصل هذه النسبة إلى 62% عند المنحرفين القضائيين.³²

ويفسر "فريشان" و"لي بلون"، أن الشباب، على المدى القصير، يقبل تأثير جماعة الرفاق المنحرفين حتى تقبله الجماعة ودون أن يكون بالضرورة مقبولاً للنشاط المنحرف المطلوب منه القيام به، أما على المدى المتوسط والطويل. أما على المدى المتوسط والطويل فيبقى تأثير جماعة الرفاق على الشباب مادام هو مقبول به، أي يصبح هناك قبول متبادل: على الشاب أن يرغب في التشبه بالآخرين وعلى الجماعة أن تقبل الشاب بكل ما فيه.

إن الانحراف بصحبة جماعة الرفاق لها إيجابيات (مزاي)، فالجماعة تمنح الشاب تعلماً نفسياً تعلماً تقنياً يساعده على الشهرة وريح أوفر للمال.³³

ويقصد بالتعلم النفسي: التحضي المعنوي الضروري للاعتراف فعل انحرافي، فجماعة الرفاق تساعد الشاب على التغلب على المخاوف وتقادي مشاعر الذنب الناتجة عن مخالفة القانون. كما يأخذ الشاب من جماعة رفاقه الشجاعة للمرور للفعل، وتساعد جماعة الرفاق على تبرير السلوكات المنحرفة، كما يموه الشعور بالذنب لأن المسؤولية جماعية وليست فردية. أما التعلم التقني فيقصد به تعلم أسرار وخفايا عمل المنحرفين الآخرين الكثر تجربة وخبرة. وبواسطة هاذان التعلمان يصبح الانحراف مع الجماعة أكثر فائدة، فتزداد اللذة لأن أفراد الجماعة يتقاسمونها معه، وتعظم الشهرة لأن أفراد الجماعة يتبادلون الحديث فيما بينهم عن حسن الأداء والقوة والشجاعة التي يبديها الشباب أثناء القيام بالأفعال المنحرفة.

5-2- العوامل الاجتماعية-الاقتصادية:

يرى "وسط" و"فارينطن" (West & Farrington)³⁴ أن انخفاض الدخل الأسري هو إحدى العوامل الخمسة التي تميز المنحرفين عن غير المنحرفين.

وتوصل "روبنس" (Robins) إلى أن الأطفال المنتمون لأسر فقيرة ويشغل الأولياء وظائف دنيا (مهنة) هم الأكثر انحرافاً من الأطفال الآخرين.

ينتشر هذا النوع الثاني من الانحراف عند حوالي 50% من مجتمع المراهقين، أما نسبة 40% الباقية فتخص الأفراد الذين لم يفتروا الأفعال المنحرفة التي تصنفهم ضمن نوعين الانحراف المذكورين.

وفي سنة 2002 قامت "موفيت" ومن معها بمواجهة هذا التمييز وبينت أن نسبة الممتنعين عن اقتراح أفعال انحرافية تخص 50% من مجتمع الذكور فقط. كما رأت ضرورة تقسيم نمط "المنحرفين المحرفين المحدودين بسن المراهقة" إلى أصناف فرعية. كما اعترفت أن التوقف عن الانحراف في سن المراهقة عند أفراد هذا النمط لم تؤكد الوقائع.

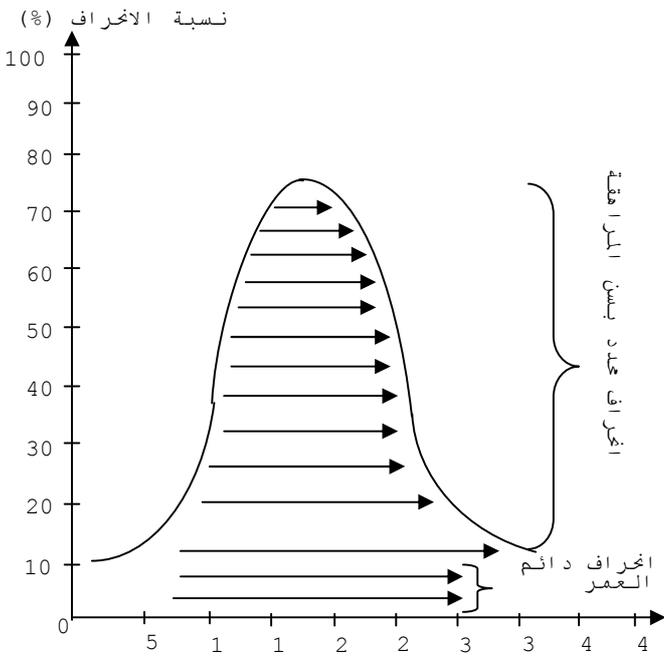
ومن جهته لاحظ "ميشال بون" (M. Born, 2002) أن الشباب الذين يفترون أفعال منحرفة في مراهقتهم قليلا ما يتوقفون عنها لما يبلغون سن 18 أو 19، بل غالبيتهم يستمرون في نشاطاتهم الجانحة إلى سن 24 على الأقل، وهذا مهما كانت وضعيتهم المهنية أو الزوجية.

الجدول (2) مقارنة بين الانحراف "المحدد بسن المراهقين" والانحراف "الدائم"

حسب ت. موفيت (T. Moffitt, 2002)

انحراف "دائم"	انحراف "محدد بسن المراهقة"	نوع الانحراف خصائصه
- يظهر الانحراف منذ الطفولة. - يستمر على مدى عدة فترات من الحياة. - توجد حالات نادرة (5-10 من الذكور). - توجد اضطرابات عصبية وسلوكية. - احتمال تنقل وراثي للخطوة.	- يظهر الانحراف في سن المراهقة. - يكون ظهوره مؤقت. - شائع جدا (حوالي 50% من المراهقين). - لا توجد عوامل خطورة عصبية-بيولوجية. - خطورة موراثية صغيرة جدا.	

Réf : M. Born, psychologie de la délinquance. Bruxelles : éd de Boeck et larcier s.a, 2003, P. 32



الشكل (01) توزيع الانحراف حسب الأعمار وفق نظرية موفيت (Moffitt, 2002)

ومن جهته يرى بلومشتاين ومن معه (Blumstein et al) ، وهم باحثون من بريطانيا، أن انخفاض الدخل الأسري هو العامل الأكثر تمييزا بين المنحرفين المزمنين والمنحرفين غير المزمنين ويعتقد "بلون" و"قريشات" أن المنحرفين القضاة يأتون من أوساط اجتماعية فقيرة. ففي دراستهما التي أجريها عن المنحرفين القضاة (متابعين قضائيا) يصرحون أنهم من أسر تتلقى مساعدات من الضمان الاجتماعي أو مصالح العناية بالبطالين. وتنزل هذه النسبة إلى 22% فقط عند المنحرفين غير القضاة، كما يصرح 76% من المنحرفين القضاة أنهم من أسر تستأجر سكانتها وفي حين 50% من المنحرفين غير القضاة من أسر مالكة لسكانتها، وفي الأخير هناك عوامل اجتماعية-اقتصادية أخرى تؤثر على الانحراف كالوسط الاجتماعي وما يحدث فيه من حراك وتغير والتتبع الثقافي وأنماط العلاقة بين الرجال والنساء.

3- أنماط المنحرفين:

يمكن حصر نمطين من المنحرفين ويندرج تحت كل نمط أنماط فرعية أخرى وفيما يلي عرض وجيز لهذه الأنماط:

1-1- تنميط للاستمرارية: أشارت موفيت (Moffitt, 1993) إلى وجود نوعين من الانحراف يمكن أن يصنفا ضمن هذا التنميط وهما: (أنظر جدول 2-).

(أ) انحراف محدد بسن المراهقة: يتميز هذا النمط ببداية "المرور إلى الفعل" في سن "المراهقة"، أي نادرا ما يظهر قبل السنة 11-12. يعاني هؤلاء المنحرفين من عدم استمرارية في طفولتهم وأفعالهم المنحرفة تتصف بـ "عدم الانسجام"، وهي متغيرة حسب الوضعيات أو الفرص، وفي سن 14-15 ويبدو جليا وواضحا الطابع النفعي لهذه الأفعال سواء كان ماديا أو شهرة أو انضماما على جماعة. الانحراف هنا يكون ذو طابع استكشافي وهو علامة على الانقطاع عن القيم الأسرية وبحثا عن منزلة ودورا ويأتي "من نهاية" الانحراف مع "نهاية المراهقة" حيث ينخرط الشخص في حياة وجدانية ومهنية توفر له منزلة وميؤوليات، ويرى بعض الباحثين أن، في الوقت الراهن، الخروج نت المراهقة لا يعني أن الشخص يتوقف عن إبتاء الأفعال اللاشرعية.³⁵

(ب) انحراف دائم: هذا الانحراف يبدأ مبكرا، وتظهر اضطرابات سلوكية وأحيانا "انحرافية" منذ الطفولة، ويتميز المزاج والشخصية بوجود تناذرات "فرط النشاط" أو "العجز في وظائف الضبط". وتوجد في الغالب صعوبات في التغلب وفشل مدرسي وتعاطف العجز في التعلق أثناء العلاقات، ويبدأ مع الوالدين ثم مع الراشدين/تقنيين الآخرين. ويعزز الأقران المنحرفين النشاطات الهامشية. وتظهر ديمومة الانحراف بعد المراهقة في صورة مسار إجرامية. يوجد هناك تفاعل بين سمات الشخصية والعوامل المحيطة في مختلف مراحل العمر من الطفولة إلى الرشد مروراً على المراهقة، وهذا التفاعل هو الذي يصون (يحافظ) على النشاط الانحرافي.

يفسر منحني توزيع الانحراف كما تقترحه "موفيت" (أنظر الشكل 08-) بوضوح نظرية "موفيت" حول وجود نمطين من الانحراف، ففي قاعدة المنحني نجد سهمين (خطين) يدلان على "الانحراف الدائم" الذي يبدأ منذ الطفولة ويمتد إلى سن الأربعين. هذا النوع من الانحراف نادر لأنه لا يشكل سوى 5 إلى 10% من مجتمع الذكور، أما النوع الثاني من الانحراف المسمى "انحراف محدد بسن المراهقة" فيظهر على شكل منحني جرس، بمعنى أن بعض الأفراد يبدأ الانحراف عندهم في أول المراهقة ويقترون أفعالا منحرفة أثناء كل مرحلة المراهقة، أما البعض الآخر فيبدأ الانحراف عندهم في آخر المراهقة ويتوقفون عنه في فترة قصيرة.

السلوك، وإنما يقترفون أيضا مخالفات للقانون وتشبع عندهم، من سن 4 على المراهقة، سلوكيات منحرفة كالعراك والتهديد والغش والكذب والسرقة. غير أن هذه السلوكيات المنحرفة تصبح أكثر شدة وخطورة واستمرارية في سن المراهقة.

تكون الأفعال المنحرفة والتوقيفات بسببها شائعة عند الذكور، بنسبة أربعة ذكور إلى فتاة واحدة (1/4) وكلما كان الفعل المنحرف عنيفا كلما زاد المدى (الفرق بين عدد الذكور مرتفع وعدد الإناث منخفض).

يمتاز المنحرفين المراهقين باضطرابات مشتركة مثل اضطرابات التقهيم الاجتماعي، فهم أقل براعة (جدارة) في فهم الآخرين وتعلم القواعد الاجتماعية. وفي الغالب لهم أولياء (خاصة الأباء) مجرمين أو مضادين للمجتمع. لقد لاحظ علماء النفس أن هناك مجموعتين فرعيتين من المنحرفين:

• المنحرفون المجتمعون (المنشؤون اجتماعيا) والمندمجون يكونون مندمجون داخل جماعة فرعية، لهم صحبة سيئة وبيقون خارج المنزل لأوقات متأخرة من الليل، ويرتبطون بقوة بجماعتهم أو بعصابتهم وبإمكانهم اقتتراف مختلف المخالفات في إطار نشاطاتهم ضمن الجماعة.

• المنحرفون المرضى نفسيا غير المجتمعين (غير المنشئين اجتماعيا) وغير المندمجين وهم في الغالب وحيدون وعديمو الشعور أو الشعور بالذنب، ويبدو كأنهم يحبون الصراعات ولا يقنون في أحد. يأتي المنحرفون المجتمعون والمندمجون في جماعة فرعية من أحياء فقيرة وكبروا (ترعرعوا) في أسر لم تكن التربوية فيها منسجمة، حيث لم يتلقوا عاطفة (حب) كبيرة.³⁶

وكان أسلوب التربية الأسرية لا ملتزم ولا مبالى ومهم. إن الأطفال الذين يعيشون في أحياء فقيرة لا يصبحون كلهم منحرفين، والسبب في عدم انحراف البعض هو تشبعهم بحب كبير من الأم. أما المنحرفين المرضى النفسانيين فيتوزع أصلهم بين كل طبقات المجتمع، ومن العوامل التي أدت إلى الانحراف نجد فشل الأولياء في فرض التربية أو حدوث تعزيز مباشر لسلوكيات عدوانية داخل الأسرة، ومزاج الطفل وعوامل الحماية مثل الحب الأمومي، وبعض العوامل الأخرى كنقص المهارة الاجتماعية أو مشكل تقبل الرفاق للطفل.

يميل الأطفال المرفوضين والمضادين للمجتمع إلى التجمع (التكتل) مما يعزز باستمرار سلوكهم المضاد للمجتمع.³⁷

ذكر كريستيان ديبيويست (Christian Debuyst, 1971) خمسة خصائص للمنحرف هي:

- عدم القدرة على مراعاة واحترام مبدأ الواقع.
- غياب الانتباه والاهتمام بالآخرين.
- عدم الالتزام الوجداني والخلقي مع الآخرين.
- فرط الحساسية.
- عدم القدرة على التكيف.

إن المنحرف يعاني من الشعور بالذنب مصدرها الأنا الأعلى، لذلك ميكانيزمات دفاعية يسقطها على الآخرين أو يوجهها نحو أناه الأعلى. ويذكر "ردل" هذه الميكانيزمات مثل:

- إستراتيجية تجنب الحساب الداخلي: ينفي المقاصد المنحرفة ومسؤولية عن الانحراف.

- البحث عن سند للانحراف: باكتشاف أصدقاء جانحين، أو افتراض القدرة على الإفلات من العقاب.

Ref: M. Born, psychologie de la délinquance. Bruxelles : éd de Boeck et Larcie s.a, 2003, P. 37.

لقد درس مسشال بورن أسباب تحول الشباب إلى الانحراف وتغير تكيفهم الاجتماعي فتوصل إلى دور الخصائص الفردية للشخص في ذلك مثل مشاعر الذنب لحظة الوقف عن الانحراف، ومن جهته وضح رونكا ومن معه (Rönkä et all, 2002) أن أحداث الحياة، كملاقاة زوج (ة) أو إعادة توجيه مهني، قد تشكل عوامل مفسرة لتطور اجتماعي إيجابي عند الأشخاص ذوي المسارات الانحرافية. أظهر العديد من الباحثين، مثل موفيت (Moffitt) ولويبر (Loeber, 1990)، وموريزوط (Morizot, 2001)، أنه كلما كانت السلوكيات الانحرافية مبكرة كلما كان التورط فيها خطيرا ودائما، ويبدو هذا الأمر صحيحا أكثر في حالة "الانحراف العنيف" الذي يجد مصدره غالبا في تلك العدوانية والاستثارة عند الطفل الصغير المتبوعة (المصحوبة) بصراعات واعتداءات متزايدة الخطورة في فترة الطفولة والمراهقة ثم تصل إلى ذروتها بالاعتداءات وحتى القتل في سن الرشد.

ويمكن تعميم قاعدة التكبير أيضا إلى "الانحراف الاكتسابي" حتى لو سلمنا أن سن الطفولة هو الذي توجد فيه العلامات الأولى للدخول في المسار الانحرافي، كذلك ليس مستبعد أن يضم الفرد الواحد المسارات الانحرافية "العنيف" و"الاكتسابي" مما يعطي مسارات انحرافية خطيرة جدا.

2-3- تمييط مساري:

يقترح "لي بلون" و"قريشات" تمييطا للمنحرفين يقوم على أربعة أبعاد وهي: اللحظة التي يظهر فيها الانحراف، كميته، تطورات وديمومته. كما يسمح هذا التمييط بتحديد وضع المنحرف في المسار الانحرافي. يصلح هذا التمييط لكل الأعمار رغم أنه وضع من طرف الباحثين خصيصا للمراهقين. وفيما يلي عرض وجيز لأهم الانحرافات التي تدخل ضمن هذا التمييط:

(أ) **انحراف متقطع فرضي:** هو انحراف غير اعتيادي، يقترف الفرد هنا عدد محدود من الأفعال الجانحة منخفضة الخطورة (ذات خطورة منخفضة)، تتبع هذه الأفعال في فترة محددة من حياة الفرد (مثلا المراهقة) ولا تظهر فيما بعد وإذا ظهرت فهي نادرة.

(ب) **انحراف انفجاري:** يقترف الفرد العديد من الأفعال الجانحة وغير المتجانسة (ضد الممتلكات، الأشخاص، الواندالية)، وتكون خطورتها متوسطة، يظهر هذا الانحراف في فترة صغيرة لكن ضمن سياق جو مشحون بالصعوبات الأسرية والشخصية.

(ج) **انحراف دائم وسيط:** هو انحراف غير متجانس، طويل المدى وذو خطورة متوسطة، تدخل الأفعال الجانحة ضمن مسار يبدأ في الغالب في سن الطفولة ويستمر في سن الرشد. ورغم أن هذه الأفعال قد تكون متعددة (كثيرة) وتعرض صاحبها للسجن إلا أنها لا تتحول وتتطور إلى اعتداءات أو السرقة بالسلاح أو القتل. يكون المسار متذبذبا ويعرف حالات هدوء لكن لا ينقطع انقطاعا حقيقيا عن الانحراف إلا في سن الرشد.

(د) **انحراف دائم خطير:** تصبح الأفعال الجانحة أكثر عددا وأكثر خطورة في فترة المراهقة وتمتد في شكل مسارات انحرافية إلى سن الرشد. في هذا النوع من الانحراف يرتبط العنف بالانحراف الاكتسابي، وقد يحدث كوسيلة اكتساب، أو تصفية أو انقلاب بالسلاح الناري أو حيز رهائن. وقد تصبح الجرائم متكررة عند المغتصبين المعادين أو القاتلين باستمرار.

4- سيكولوجية المنحرف:

يدخل الانحراف ضمن "اضطرابات السلوك" فالأطفال الموسومين بأنهم منحرفين لا يظهرون علامات الفجائية والاستفزاز (التحرش) وعدم الطاعة وهي العلامات المشتركة بين كل اضطرابات

- المجرم لا يتحكم في ذاته، ولا يفكر قبل الإقدام على فعل ما.
- إحساس المجرم ضعيف أو منعدم بمسؤوليته فيما يحصل له (انحراف).
- تفكير المجرم متصلب، وهو ليس منفتح على الآراء الجديدة، لا يظهر مرونة كبيرة ولا إبداع.
- يصعب على المجرم حل المشكلات.
- المجرم متمركز حول ذاته.
- قيم المجرم متمركزة حول ذاته، ويميل (ينحو) إلى تعريف الخير والشر بما يتوافق وذاته.

ج) نظرية "ردل" و"ينمان":

نظرية هاذان العالمان تعرف بنظرية "الأنا المنحرف وتقنياته" ولقد عرضها في الفصل الرابع من كتابهما "الطفل العدوانى"⁴³. وتعني هذه النظرية أن أنا الشخص المنحرف يستعمل العديد من ميكانزمات الدفاع حتى يستمر ويبقى أنا منحرفا. وقد صنفا هذه التقنيات الدفاعية ضمن أربع استراتيجيات:

* **إستراتيجية تفادي العقاب الداخلي:** أو ما يعرف بتقنيات إزالة الإحساس بالذنب. إن الأطفال المنحرفين سلوكيا تتوفر شخصيتهم⁴⁴ على "مجموعات من القيم" فلا يستطيع أناهم الحصول على الإشباع دون دفع ثمن لذلك ويتمثل في "الإحساس بالذنب".

إن هؤلاء الأطفال حائزون وقلقون، ويبعدون حيرتهم وقلقهم بالسلوك السوي لفترة من الوقت.

ومن أهم تقنيات "الهروب من العقاب" ما يلي:⁴⁵

- "كبت وإخفاء النوايا والمقاصد الحقيقية".
- "هناك من فعل قبلي هذا السلوك".
- "الجميع فعل، على الأقل، هذا السلوك".
- "لقد كنا جميعا مشاركين في هذا السلوك".
- "لقد فعل بي نفس الشيء من قبل".
- "هو من أراد هذا".
- "لقد اضطررت لفعل ذلك وإلا كنت أنا الخاسر".
- "لم أستفد بشيء".
- "لكنني تصالحت معه فيما بعد".
- "هو ليس استثنائيا (بدائيا)".
- "إنهم كلهم ضدي، ولا أحد يحبني، ويقضون كل وقتهم في استنقازي".
- "لم يكن بوسعي الحصول عليه بغير هذه الطريقة".

* **إستراتيجية البحث عن سند للانحراف:** يملك المنحرف براءة في اختيار "رفقاء سوء"، ويبحث جاهدا عن إغراءات للانحراف وأهداف يدافع من أجلها.

إن الأنا المنحرف لا يكتفي بمبررات ذكية ليربح ضميره بل على الوسائل التي تضمن له الإشباع من الإطراء الانحرافي⁴⁶ دون الإحساس بالذنب. والإطراء الانحرافي هو كل ما يتلقاه المنحرف من شكر ومدح وإطراء ومزايا نتيجة فعله الانحراف، كالاقرار بقوته، وشجاعته وذكائه... إلخ. وفيما يلي بعض الاستراتيجيات المستعملة لتحقيق سند للانحراف.⁴⁷

- مقاومة التغيير: يمنع عن نفسه التعبير عن حاجته للحب والعلاقات الحميمة.³⁸

وما يلاحظ أن المنحرف يغير من ميكانزماته الدفاعية حسب الوضعيات والمواقف ويعاني من نقص ضبطه أثناء الحوار مع الآخرين فيقلب تعبيره اللفظي إلى تعبير انفعالي وسلوكي.³⁹

يعتقد بعض الباحثين أن المنحرف له شخصية نمطية تميزه عن غيره من الناس، ويعتقد باحثون آخرون أن مفهوم "الشخصية المنحرفة" لا يصلح ولا يمكن تداوله إلا عند بعض المنحرفين وليس كلهم وفيما يلي نحاول التطرق على 5 نظريات في الشخصية المنحرفة.

أ) نظرية "لي بلون" و"فريشات":⁴⁰

يرى هذان الباحثان أن المنحرفين القضائيين يتميزون عن المنحرفين غير القضائيين بثلاث صفات:

- السلوك الانحرافي.
- عسر التجمع: أي صعوبات الاندماج الاجتماعي.
- متمركز مفرط حول الذات.

وتتميز شخصية المنحرفين القضائيين بالانعزال أي صعوبة ربط علاقات متينة مع الآخرين، ونقص التجمع أي عدم القدرة أمام متطلبات وضغوط الحياة الاجتماعية والسلبية تجدها الآخر، عدم الأمن والبدائية، أي أن يعطي الفرد فقط الأولوية لحاجاته الشخصية.

إن المنحرفين منغلقتين على ذاتهم بسبب رؤيتهم للواقع من خلال منظار متمركز حول ذاتهم وليس متمركز على الآخرين.

ب) نظرية "بوشلسن" و"ساميتو":⁴¹

هذان الباحثان هما طبيبان أمريكيان مختصين في الطب العقلي، ولقد نشرا سنة 1976 كتاب "شخصية المجرم" وفيه يؤكدان بوجود "منحرفين بالعادة" أي أفراد اختاروا نمط العيش المنحرف منذ السنوات الأولى من عمرهم (4-6 سنوات). ويعتقدان أن مساوئ المنحرفين توجد على الصعيد المعرفي أكثر مما هي على الصعيد الوجداني، فالمنحرفون يتميزون بطريقة خاصة في التفكير، فيرون الواقع من منظور خاص بهم. ومن أهم الأفكار التي يؤمن بها المنحرفون نجد ما يلي:

- أثناء الاتصال مع الآخرين، لا يتكلمون عن أنفسهم، ولا يقبلوا الآخرين ويغيب نقد الذات عنهم.
- يستعمل المنحرف عبارة "لا أستطيع"، وفي الواقع يقصدون "لا أريد".
- يعتبر المجرم نفسه ضحية المجتمع والأحداث.
- يفكر المجرم أن له الحق في امتلاك الأشخاص والأشياء ملكية مطلقة.
- المجرم يرفض الخوف رغم أنه مسكون بمخاوف عديدة.
- يعمل المجرم دائما ليكون هو الأحسن في كل الميادين لأنه مغرور.
- لا يهتم المجرم بالأضرار أو الآلام التي يتسبب فيها للآخرين.
- لقد أحصى هذان الطبيبان حوالي 50 نمط تفكير لدى المنحرفين.

ج) نظرية "روس" و"فابيانو":⁴²

هذان الباحثان الكنديان مختصين في علم الإجرام، ويرجعان هما كذلك الانحراف والإجرام إلى علل معرفية. ومن أهم هذه العلل ما يلي:

(ب) غياب الأب: تكون البنات في هذه الحالة أكثر تبعية للآخرين، ويكون الذكور أقل توافقاً في علاقاتهم مع الآخرين، وأقل نضجاً جنسياً، حيث ينصرفون برجولية مصطنعة ومبالغ فيها أو يتشبّهون بالإناث.

(ج) مشكلات التدريب الأخلاقي: يؤدي التدريب الأخلاقي إلى تبني الطفل لمعايير أسرته الأخلاقية، وهكذا ينمو ضميره الخلقي، كما تنمو عنده مشاعر الذنب إذا تصرف بما يخالف هذه المعايير، لكن قد يخل الأولياء بهذا التدريب إفرطاً أو تفريطاً، كأن يكونوا قساة فيؤدي إلى عدم التوازن في شخصية الطفل أو ليّنه فينحرف أو يضطرب نفسياً.

(د) الانحراف: لما يعيش الطفل في جو أسري مريض، يحرم فيه من عطف الأولياء ومن إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية فلا يجد ملاذ إلا في الانحراف طفيفه وشديده.⁵²

(هـ) نقص الضبط الاجتماعي الأسري: إن زيادة نسبة الطلاق والانفصال من شأنه أن يؤدي إلى انخفاض في الضبط على مستوى الأسر. يرى الباحثون أن الأسر أحادية الولي تعاني من نقص في الضبط الاجتماعي، حيث يلاحظ أن المراهقين في هذه الحالة يأخذون حرية أكبر ويختبرون الحدود، وتجد الأم التي تعمل خارج المنزل لتلبية حاجياتهم صعوبات في ضبط سلوكيات أبنائها المراهقين.

أما الأب فقد يكون غائباً أو لا يلعب دوره الاجتماعي نحو أبنائه، وهذا لا يعني أن الأطفال الذين يأتون من أسر أحادية الولي والتي تعاني من نقص الضبط سينحرفون بالضرورة.

من جهة أخرى أن ممارسة سلطة صارمة جداً وغير عادية يعد عامل خطر لظهور الانحراف له نفس أهمية انعدام السلطة.⁵³

(و) نقص السلطة الوالدية: تعني السلطة الوالدية القدرة على تدريب الطفل وبنية شخصيته، وهي فعل دينامي، ومخطط ومشاريع ورغبات وتصورات الراشد هو من يبادر، ويحث ويثير ويقترح. السلطة هي أيضاً الأمن ووضع الحدود، يرشد الولي ويتفادى وينبه إلى الأخطار ويحمي ويعلم القواعد والقوانين ويمنع.

السلطة هي القدرة على الإيضاح أي تقديم الأحداث المعاشة والخيارات بكيفية إعلامية، وقابلة للفهم وتشاورية، حتى يدمجهم الطفل في شكل مرجعيات واضحة. وتبقى الحرية للطفل فيما بعد في تحديد موقعه واختياراته الخاصة به.

السلطة هي قبل كل شيء مسؤولية كل ولي على حدا، حيث يعطي كل منهما لسلطته الشكل والتصور المناسب له حسب حياته وتربيته.

تتقاسم المجموعات التربوية سلطة الأولياء ولكي يحافظ على توازن وهرمية في القيم الأسرية والاجتماعية لابد أن يكون هناك انسجام بين الأسرة وهذه المجموعات التربوية.⁵⁴

قد تتخلى الأسرى عن دورها نحو الطفل؛ إما تقاعساً أو ضغفاً أو لعدم الكفاءة.

إن نقص السلطة هو اختلال في التوازن وقد يؤدي إلى الانحرافات التربوية المضرة بالطفل⁵⁵، فيصبح هش جداً، وضعيف في علاقاته الاجتماعية، وتنقص ثقته في نفسه، ويصير أكثر اندفاعية ولا يعود قادراً على تحضير أفعاله وتسبيقها. هذه الأعراض مرجعها إلى نقص السلطة الوالدية، خاصة الأبوية، ويؤدي نقص السلطة إلى ظهور صعوبات جمة منها:

● لا يتحمل الأولياء مسؤولياتهم في توجيه الطفل، حيث لوحظ عندهم ليونة وتسامحية، وغموض في توجيهاتهم التربوية، واستقالة، وعدم الاختيار وأحياناً غيابهم عن اللحظات المهمة في حياة الطفل.

- البحث عن "رفقاء السوء".

- الميل والرغبة في "تشكيل عصابة".

- الانجذاب نحو الفعل المنحرف الابتدائي (أي القيام لأول مرة بفعل منحرف ثم يقوم أشخاص آخرون به تقليداً ومحاكاة).

- البحث عن إغراءات الانحراف.

- استغلال النوبات المرضية المعتادة لاقتراف السلوك المنحرف.

- التمرد على مبررات الآخرين.

- "مثالية الأنا" لها ثقافة تفضل الانحراف.

- التوهم أنه سيستثنى من قوانين الأثر بعقلته والنتيجة بسببها.

- التبعية لطموحات وكفاءات ترتبط بالانحراف.

* إستراتيجية مقاومة التغيير: يتفادى المنحرف الوضعيات أو الأفراد الذين يستهجنون انحرافه، ويستمر في نفي أفعاله المنحرفة، وإذا قبض مثلبساً رفض التخلي عن العوامل التي تشجع على انحراف (أماكن مولدة للانحراف، رفقاء الاستهلاك).

إن أنا الشخص المنحرف فعال جداً في تنويم صوت الضمير (الأنا الأعلى) وذلك بتغذيته بسلسلة من "الحيل والمبررات". ومن أهم التقنيات المستعملة للدفاع ضد التغيير ما يلي:⁴⁸

- الامتناع عن الكلام لحظة الاعتراف.

- الهروب إلى الصفة الحميدة.

- تفادي الناس الخطيرين في حالة الانحراف الشخصي.

- خلق (كف) حاجاته للحب والتبعية والنشاط.

- الفرج ضد المصلحين.

* الحرب ضد عوامل التغيير:⁴⁹ يحيط المنحرف، بسرعة، بنقاط ضعف الآخرين ويحاول استعمالها في صالحه، ويظهر معارضة كبيرة باستعمال أسلوب خاص لا يستعمله الآخرون في العادة.

5- الأسرة والانحراف:

1-5 سمات أسر المنحرفين:

تكون أسر المنحرفين في الغالب مفككة: الطلاق، الانفصال، العنف داخل الأسرة، الكحولية.

ولقد لوحظ أن المنحرفين، في الغالب، تعرضوا إلى سوء المعاملة الوالدية والحرمان العاطفي.

إن المراهقين المنحرفين لهم سمات شخصية تشبه سمات شخصية الحديين.⁵⁰ كما يلاحظ أن أولياء المنحرفين هم أولياء ساكنين، وينزلون عقوبات غير ملائمة على أولادهم، وتكون علاقاتهم مع أولادهم سيئة ويكون الاتصال بينهم وبين باقي أفراد الأسرة في نقطة الصفر.⁵¹

2-5 المشكلات الأسرية: الأسرة السوية هي التي يحافظ

أفرادها على تماسكهم الأسري، ويسود بينهم الحب والمودة والعطف والتقدير والتعاون واحترام دور ومكانة كل واحد منهم.

وإذا زال هذه التماسك انفرط عقد هذه الأسرة وأصبحت توصف بـ "اللاسوية" وكثرت مشكلاتها، التي سنورد البعض منها:

(أ) الحرمان من الأم: يؤدي حرمان الطفل من أمه إلى عدم نضجه وجدانياً وعقلياً وحسياً-حركياً.

3-5- اضطرابات التنشئة الاجتماعية:

تكون التنشئة الاجتماعية سوية لما تؤدي كل المؤسسات الاجتماعية المسئولة عنها وظيفتها على أحسن وجه، وإذا اختل توازن واحدة من هذه المؤسسات اعتلت التنشئة وظهرت فيها أخطاء ومضاعفات على الأفراد، فيكبرون مضطربين نفسياً وسلوكياً وتكثر عندهم الإحباطات والتوترات، وسيود فيهم القلق والحصر.

إن أخطاء التنشئة الاجتماعية كثيرة وتحصرها حنان عبد الحميد العناني⁵⁹ فيما يلي:

- الحرمان من العناية.
- إشعار الطفل بأنه غير مرغوب فيه.
- الإفراط في التسامح والتدليل.
- صرامة الأولياء وتسلطهم.
- انصراف الأولياء عن أبنائهم.
- ترك الطفل للخاديات يعنين به لوحدهن.
- تضارب اتجاهات الوالدين في تربية الأطفال.
- التفكك الأسري والخلافات الأسرية أمام الأولاد.

4-5- مضاعفات الأساليب التربوية الوالدية الخاطئة:

يرى الكثير من المحللين النفسيين أن الحرمان العاطفي المبكر والعنف الممارس مبكراً جداً من طرف الأب يؤدي إلى ظهور اضطراب في التقمص ونقص في البناء الرمزي.⁶⁰

ومن جهته يرى رينيه سبيتز (R. Spitz) أن الأطفال المحرومين من الحب سيصبحون راشدين مملوئين بالكره⁶¹. كما تنمو عندهم مشاعر العدائية وتزيد الغيرة والحقد والإحساس بالذنب.⁶²

وتذكر زينب محمد شقير المضاعفات حسب أسلوب التربية المتبع من طرف الأولياء:

أ) مضاعفات القسوة والتنشئة:

- خلق شخصية ضعيفة عند الطفل.
- تأخر النضج الانفعالي.
- عدم القدرة على الاعتماد على الذات.
- ممارسة السلوك الانحرافي (تشرذم، انحراف، إجرام... الخ).

ب) مضاعفات التدليل:

- عدم النضج الانفعالي.
- اللامبالاة عند الطفل.
- العدوانية والعنف.
- الإهمال وعدم الطاعة.
- ظهور بعض الإضرابات النفسية: تبول لا إرادي، قضم الأظافر، البكاء التحيبي.

ج) مضاعفات الرفض وعدم التقبل:

- عدم إشباع الطفل لحاجاته إلى الانتماء والحنو.

د) مضاعفات الحب الكاذب للطف:

ويعيش الطفل هذا النقص في سن المراهقة، في شكل هشاشة ونقص إسناد الأولياء له، ويحاول هؤلاء الأولياء التشديد في مواقفهم مع ابنهم المراهق ولكن بدون جدوى لأنه لا يصدقهم أو لا يفهمهم.

• عندما يكون الآباء غائبون (عمل، تنقل، انفصال... الخ) تنتقل السلطة التربوية إلى الأم.

• قد يصحب نقص السلطة بفرط حماية، حيث يبقى الولي على تربية طفلة من خلال الانشغال الدائم به، والخوف والعيش في جو محفوف بالخطر. وينتج عن هذا عدم استقلالية الطفل ويصبح الانفصال عنهم بدون قلق أمراً مستحيلاً.

• نفي كل ولي لسلطة الولي الآخر وهذه ظاهرة تربوية شائعة ويتجلى ذلك في أمرين: الأمر الأول أن الأب والأم لا يتصوران أن لكل واحد منهما الحق في اختلاف وجهات النظر وحتى في المعارضة أثناء تربية ابنهما فيتظاهران أمام ابنهما، بنفس الآراء والقرارات وهذا غير ممكن واقعيًا، فالطبيعة تستوجب أن يكون هناك تمطان مختلفان من السيطرة؛ والطفل هو الذي يقوم بعملية التركيب والتوليف والربط والاختيار، وهو الذي يتحمل المسؤولية بنفسه.⁵⁶

إن الفروقات بين الأولياء، سواء على مستوى الإحساس أو الشخصية، هي التي تعطي ثراء في النسق التربوي، والأمر الثاني أن الولي ينتقد بكيفية تهديمية، مواقف الولي الآخر فمثلاً كثير من الأمهات يلغين السلطة الأبوية، لعدم فهمهن أو عدم احترامهن لهذه السلطة، ويأخذن الحق في الحكم على الزوج وإغائه.⁵⁷

وقد تطرق الكثير من المحللين النفسيين إلى هذه الظاهرة وخاصة المحلل النفسي واللغوي الفرنسي جاك لاقرون (Jacques Lacan) الذي سمي هذه الحالة بـ "النبتة" (FORCLUSION).

• قد يستخدم الطفل ويصبح طرف في المشاكل الزوجية مما يضعف التربية الأسرية، فإثناء النقاشات الزوجية يفقد الزوجين قوتها التربوية وقدرتها على تأمين الطفل، وهذا الأخير يصبح موضوع للاستفزاز والتملك.

• تؤدي تغيرات الأولياء أيضاً إلى مشاكل، فالأولياء يتغيرون طبيعياً (الشيخوخة العمرية) وظرفياً (شيخوخة الزواج)، وبالتالي من حقهم أن يغيروا في مواقفهم واختياراتهم وأرائهم، ويحتاج الأطفال إلى تفسير لهذه التغيرات ومبرراتها. إن كثير من الأولياء لا يرجعون في أقوالهم خوفاً من ظهور التناقض عندهم، وبالتالي يصبحون عرضة لنقد الأبناء رغم أن قوة السلطة تكون مع صدق الأولياء من الأحسن أن يوضح الأولياء نقاط ضعفهم بوضوح عوض من محاولة مخادعة الطفل بحيل تربوية.

ز) حب الآباء المرضى للأبناء أو الآباء النرجسيون: الآباء الذين يحبون أبنائهم حب نرجسياً يعانون من نقص في النضج الوجداني، أي أنهم مازالوا صغاراً من الناحية الوجدانية. ونقص بالآباء النرجسيين الذين يريدون إشباع حاجاتهم من خلال استعمال أبنائهم كواجهة لذلك، فمثلاً الأب الذي لم يتعلم ولم يصل إلى درجة علمية كبيرة يحاول أن يحصل على ذلك بإرغام ابنه على الدراسة وفق أطر تختلف عن كفاءته ورغبته.

فالأب النرجسي لا يهتم بابنه في حد ذاته وإنما يهتم به بمقدار ما يشبع له نرجسيته. وتستشهد سهرير كامل أحمد بمصطفى زيور لتحليل شخصية هؤلاء الآباء، حيث يرى أن حب الآباء النرجسيين لأبنائهم هو حب أناني، نرجسي، وذلك يحدث اضطراب في النمو السوي للأطفال فتظهر عندهم مشاعر الكره تجاه آبائهم.⁵⁸

لا يتحصل الطفل على كل ثقافة مجتمعه الذي ينتمي إليه مرة واحدة بل يحصل فقط على فرع منها، ويصمم مضمون هذه الثقافة بالتكامل أو التعارض مع الجماعات الأخرى.⁶⁶

الأسرة هي أول تجربة اجتماعية للطفل لأنها جماعة مؤسسة (Groupe institutionnalisés) يستلزم تخصص في الأدوار والتوقعات المرتبطة بهذه الأدوار.

الأسرة أيضا هي نسق معياري مرتبط بالنسق الاجتماعي والثقافي السائد، ويسير هذا النسق العلاقات بين أعضائه والخارج.

والأسرة هي غشاء وقاية من الخارج وهي أيضا قناة لانتقال عدد من القيم والمثاليات وأنماط التفكير والفعل السائدة في المجتمع.⁶⁷

يظهر انهيار للقيم لما يهمل الفرد القيم التي تربي عليها خاصة القيم الدينية والأخلاقية، مما يتولد عنده صراع نفسي ما يلبث أن ينتهي به إلى واحد من السلوكيات التالية:

- الانسحاب أو العزلة أو الانطواء أو الهجرة.
- الاستسلام إلى الملذات والمانيات، تحت شعار (الغاية تبرر الوسيلة).
- التمرد على الواقع: فتظهر الجريمة، والانحراف، والعوانية، والإيمان.
- تفكك الأسر، وتطل الروابط الأسرية ونقص التماسك والوئام والانسجام الأسري.⁶⁸

يتدهور نسق القيم لما يحدث اختلال في التوازن بين مضمون القيم المثالية وبين ما هو موجود على أرض الواقع. حيث يعيش الأفراد أزمات وصراعات نفسية شديدة نتيجة التباين الشاسع بين ما عرفوه وتعلموه عن القيم وبين ما وجدوه مجسدا أمامهم في الواقع من انعدام للقيم أو عدم امتثال الأفراد لها. ومن المواقف التي تؤدي إلى تدهور أنساق القيم نجد الحروب والكوارث والتغير الاجتماعي الفجائي الذي يعرفه مجتمع أو جماعة اجتماعية معينة.

الهوامش والمراجع :

- 0 - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج1. بيروت: دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي، 1997، ص. 267.
- (2) - المنجد في اللغة والإعلام. بيروت: دار النشر الأهلية، 1982.
- (3) - قانون الإجراءات الجنائية. ط2، الجزائر: منشورات دار بارتي، 2002، ص .
- (4) - جمال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية. الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2001، ص. 21.
- (5) - الماوردي، الأحكام السلطانية. ط2، مطبعة البابلي الخلي، 1968، ص. 192.
- (6) - M. Born, La psychologie de la délinquance. Bruxelles: éd de bæck et larcier s.a, 2003, p. 21.
- * الممثلون: يقصد به الأشخاص المقترفين لفعل منحرف ويقابله في الأجنبية "Acteurs".
- (7) - سامية محمد جابر، سوسيولوجيا الانحراف. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2004، ص. 543.
- (8) - جمال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، مرجع سابق، ص. 19.
- (9) - نفس المرجع، ص. 19.

- يتظاهر الطفل أنه سعيد بحب والديه الكاذب له.
- يتعلم التصنع وإخفاء المشاعر.
- يتعلم إظهار عكس ما يبطن.

ه) مضاعفات التبادلية الكاذب: (يعني هناك علاقة جيدة سطحا لكنها سيئة عمقا)

- يشعر الطفل في ظل الأسرة بالسعادة والحب لكنها تكون في معظم الحالات ستارا للتفاعلات الخاطئة.

و) مضاعفات المثلث غير السوي: (معناه إسقاط صراع الأولياء على الأبناء)

- يتحمل الطفل الصراع الموجود بين والديه، ويصبح هو الذي يقوم بالدور المسئول والموضوعي والملتزم (تتعاكس الأدوار حيث يتخذ الوالدين دورا طفليا نكوصيا)، ويصبح على الطفل أن يتسامح مع والديه، وأن يفدر ظروفهما.

- يقع الطفل في المرض بسبب إنهاك مصادره الوجدانية والانفعالية.

ز) مضاعفات النقص الزائد:

- يصبح الطفل عديم القيمة.
- يفقد الطفل ثقته في نفسه.
- يصبح بطيء الاستجابة للمثيرات التي حوله.⁶³

5-5- العلاقة بين الأسلوب التربوي الخاطئ والانحراف:

أظهرت العديد من الدراسات أن التربية الأسرية الخاطئة هي من أهم العوامل المؤدية إلى الانحراف والإجرام.⁶⁴

ومن الأساليب التربوية الخاطئة قسوة الأولياء على أبنائهم والتشدد في معاملتهم ورفضهم وعدم تقبلهم واللامبالاة بهم وفرط تدليلهم.

وهذه الأساليب التربوية الخاطئة ترجع في غالبيتها إلى عدم نضج الأولياء انفعاليا ووجدانيا وجهلهم بأساليب التربية السليمة وتكرارهم للأسلوب التربوي الخاطئ الذي نشؤوا عليه.

6-6- القيم الأسرية والانحراف:

يعد انهيار القيم الأسرية من أهم العوامل الاجتماعية المولدة للانحراف، ومن مظاهر هذا الانهيار القيمي الأسري: انحراف الأب أو الأم أو كلاهما أو انحراف الأخ الأكبر أو الأخت الكبرى ويتميز هذا النوع من الأسر بفقدان المثل العليا واختلال المعايير الاجتماعية وانعدام القيم الخلقية وتصبح السلوكيات اللاسوية، من انحراف وسوء أخلاق، مقبولة داخل هذه الأسر بل ويشجع الأطفال عليها.⁶⁵

شدت الدراسات التي أجريت حول "التنشئة الاجتماعية" على تأثير مختلف الأنساق المعيارية والمرجعية ونماذج سلوك المجتمع على تكوين شخصية الأطفال. يتعلم الطفل ويستغل قواعد السلوك التي تنظم تفاعلاته مع الآخرين.

تتجدد الأنساق المعيارية من خلال الجماعة الأسرية، وذلك من خلال الكيفية التي تعيشها هذه الجماعة بالملاموس والممارسات التي تكتشفها باستمرار.

عندما يولد الطفل يجد نفسه في جماعة لم يختارها، وهي جماعة تنتمي بدورها إلى سياق اجتماعي وثقافي يحدد ظروف وجودها ويعين وضعها بالنسبة للجماعات الاجتماعية الأخرى. ويقترح هذا السياق على الطفل دد من القيم والنماذج التي توجه تصرفاته.

- (39) - نفس المرجع، ص. 53-57.
- (40) - P. Hanigan, op.cit, P. 197.
- (41) - Ibid, P. 197.
- (42) - R.Ross et E.Fabiano, réhabilitation of Young offenders through cognitive training : Research and Practice acte du colloque scientifique "l'intervenent, la clientèle, l'approche rééducative", Montréal, Fondation cité des prairies, 1988, PP. 236-239 in Patricia Hanigan, op.cit, P. 198.
- (43) - F.Redl et D.Wineman, l'enfant agressif. T.1, Paris, Fleurus, 1971, PP. 169-234.
- (44) - Ibid, P. 174.
- (45) - Ibid, PP. 176-187.
- (46) - Ibid, P. 187.
- (47) - Ibid, PP. 188-198.
- (48) - Ibid, PP. 199-205.
- (49) - P. Hanigan, op.cit, P. 199.
- (50) - M. Despinoy, psychopathologie de l'enfant et de l'adolescent. Paris : Armand Colin, 1999, p. 168.
- (51) - M. Born, op.cit, P. 60.
- (52) - حنان عبد الحميد عناني، الطفل والأسرة والمجتمع، عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع، 1994، ص. 68-71.
- (53) - M. Born, Op.Cit, P. 60.
- (54) - P. Canoui, P. Messerschmitt, O. Ramos Psychiatrie de l'enfant et de l'adolescent, Paris :Maloine, 1994, p. 310.
- (55) - Ibid, P. 311.
- (56) - Ibid, P. 311.
- (57) - Ibid, P. 311.
- (58) - سهر كامل أحمد، دراسات في سيكولوجية الطفولة، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 1998، ص. 53-55.
- (59) - حنان عبد الحميد العناني، مرجع سابق، ص. 28.
- (60) - Dictionnaire fondamental de la psychologie, T1 (A à K). Op. cit, P. 41.
- (61) - Ibid, P. 41.
- (62) - محمد علي قطب الهمشري، وفاء محمد عبد الجواد، مشكلة الأطفال الجانحين. الرياض: مكتبة العبيكان، 2000، ص. 30-43.
- (*) - البكاء النحيب: هو انفجار الطفل ببكاء لا يمكن حبسه وإيقافه.
- (63) - زينب محمد شقير، الباثولوجيا الاجتماعية والمشكلات المعاصرة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2001، ص. 99-104.
- (64) - جمال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، مرجع سابق، ص. 67.
- (65) - نفس المرجع، ص. 67.
- (66) - V. Aebischer, D. oberlé, Le groupe en psychologie sociale. 2eme Ed, Paris :Dunod, 1998, p. 41.
- (67) - Ibid, P. 42.
- (68) - جليل وديع، مرجع سابق، ص. 41.
- (10) - سامية محمد جابر، مرجع سابق، ص. 540.
- (11) - نفس المرجع، ص. 83.
- (12) - مصلح الصالح، النظريات الاجتماعية المعاصرة وظاهرة الجريمة في البلدان النامية. عمان: مؤسسة الوراق، 2000، ص. 32.
- (12) - جمال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، مرجع سابق، ص. 19.
- (14) - سامية محمد جابر، مرجع سابق، ص. 539.
- (15) - نفس المرجع، ص. 543.
- (16) - نفس المرجع، ص. 543.
- (17) - M. Born, Op.Cit, PP. 20, 21.
- (18) - جمال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، مرجع سابق، ص. 24.
- (19) - جعفر عبد الأمير الياسين، أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث. بيروت: دار المعرفة، 1981، ص. 33.
- (20) - نفس المرجع، ص. 34.
- (21) - جمال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، مرجع سابق، ص. 23.
- (22) - أنور محمد الشقاوي، انحراف الأحداث. ط3، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1986، ص. 30.
- (23) - جعفر عبد الأمير الياسين، مرجع سابق، ص. 31.
- (24) - نفس المرجع، ص. 32.
- (25) - عدنان الدوري، جناح الأحداث المشكلة والسبب. الكويت: ذات السلاسل، 1985، ص. 28.
- (26) - الشيخ كامل محمد عويضة، مشكلات الطفل. بيروت: دار الكتب العالمية، 1996، ص. 133.
- (27) - P. Hanigan, La jeunesse en difficulté. Québec : Presses de l'université du Québec, 1997, PP. 205-236.
- (*) - يتجلى عدم التكيف في 3 مظاهر: الفشل الدراسي، عدم الانضباط (تشويش، شغب...) وانعدام الاهتمام بالدراسة والنشاطات الدراسي.
- (28) - Ibid, PP. 219-222.
- (29) - Ibid, P. 223.
- (30) - P. Hanigan, 'le passage de l'école au travail et la délinquance) in Apprentissage et socialisation, vol 2, n° :2, 1979, PP. 69-73.
- (31) - S. Gluck et E. Gluck, unraveling juvenile delinquency, cambridge, Harvard university press, 1950 in P. Hanigan, op.cit, P. 223.
- (32) - M. Cusson, délinquants pourquoi ? Montréal : Hurtubise-HMH, 1981, in P. Hanigan, op.cit, P. 220.
- (33) - Patricia Hanigan, op.cit, P. 227.
- (34) - D.J. West et D.P. Farrington, The delinquent way of life. Londres: Heineman, 1977, P. 157, in, P. Hanigan, op.cit, P. 228.
- (35) - M. Born, op.cit p. 35.
- (36) - H. Bee, psychologie de développement. Paris -Bruxelles :éd de bæck et larcier s.a, 1997, p. 294.
- (37) - Ibid, P. 295.
- (38) - جليل وديع، أمراض المجتمع، الأسباب، التفسير، الوقاية والعلاج، بيروت، دار العربية للعلوم، 1997، ص. 52.